

المعيار السياسي للمذهب سبب الشقاء!

المعيار السياسي للمذهب سبب الشقاء!

لو اقترحت مذهباً لبلدي - وكان لابد من مذهب سائد - لاخترت من المذاهب التي نشأت في بلدي (٣ مدنية، ١ مكي)؛ ولن آخذ مذهباً عراقياً ولا شامياً..

المذاهب التي نشأت في بلدي أربعة مذاهب؛ منها اثنان سنيان (المالكي والشافعي)؛ الأول مدني والثاني مكي؛ ولم يعد لهما وجود؛ لا في المدينة ولا مكة.

لا أرى المذهبية؛ لكن؛ إن كان ولا بد، فمذاهب الحرمين أولى من تعاطي المذاهب من العراق وسوريا. المدينة أولى من بغداد؛ ومكة أولى من دمشق.

أول المذاهب نشوءاً هي الإباضية، فهم على مذهب جابر بن زيد أبي الشعثاء البصري الأزدي العماني الأصل (ت ٧٤هـ)؛ هو الوحيد من مذاهب القرن الأول. ثاني المذاهب هو مذهب الإمام زيد بن علي بن الحسين (١٢٢هـ)؛ وهو مدني، لكنه استشهد بالعراق، وكان الإمام زيد من علماء أهل البيت وفقهائهم.

ثالث المذاهب هو مذهب الإمام جعفر الصادق الهاشمي (١٤٨هـ)؛ وهو مدني؛ رابع المذاهب مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت (١٥٠هـ)؛ كوفي.

خامس المذاهب هو مالك بن أنس الأصبحي (١٧٩هـ)؛ مدني.

سادسها؛ مذهب الإمام الشافعي (٢٠٤هـ)؛ مكي، لكنه رُحِّل لبغداد وانتقل لمصر، ولكن أصله مكي.

سابعها مذهب أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)؛ بغدادي شيباني من ربيعة.

ثامنها ابن جرير الطبري (٣١٠هـ)؛ بغدادي، لكنه انقرض، ككثير من المذاهب.

ومن المذاهب غير المشهورة:

مذهب الإمام الهادي يحيى بن الحسين (٢٩٨هـ)؛ معاصر للطبري والنسائي وابن خزيمة؛ مدني، وانتقل لصعدة وحكم شمال اليمن.

ومن المذاهب غير المشهورة؛ مذهب داود بن علي الظاهري (٢٧٠هـ)؛ بغدادي، عاصر أصحاب السنن. كاد أن ينقرض؛ لولا ابن حزم الأندلسي (٤٥٦هـ).

ومن المذاهب التي اشتهرت ثم تقلصت ولم تنقرض، مذهب إسماعيل بن جعفر الصادق (١٣١هـ)؛ مات قبل أبيه على المشهور، وتنسب إليه الإسماعلية.

ومن المذاهب المنقرضة؛ مذهب الحسن البصري (١١٠هـ)؛ مذهب الأوزاعي (١٥٩هـ)؛ مذهب الثوري (١٦٠هـ).. دخل مذهب الثوري في من بعده؛ كالشافعي والحنبلي.

هذه المذاهب نقصد بها المذاهب الفقهية لا العقائدية؛ أما عندما تريد المذاهب العقائدية؛ فتتغير أغلب أسماء هذه المذاهب؛ فالشافعية والمالكية في الفقه؛ إذا أتى اسمهم العقائدي يقال أشاعرة؛ والحنبلية في الفقه سلفية في العقيدة؛ والحنفية ماتريدية؛ والجعفرية إمامية.. وهكذا..

وبعض المذاهب يكون الاسم واحداً في الفقه والعقيدة، لا يفترق الاسم الفقهي عن العقائدي أو الفكري؛ كالزيدية والظاهرية، اسم واحد، فقهاً أو عقيدة؛ وهناك مذاهب اشتهرت بالعقيدة أكثر من اشتهارها بالفقه؛ كالمعتزلة، كانت مذاهبهم الفقهية إما حنفية أو شافعية أو زيدية؛ ليس فيهم مالكي ولا حنبلي..

وبعضهم يكون مذهبه فرعاً؛ لكنه يشتهر به؛ كالهادية؛ نسبة للإمام الهادي الهاشمي الصعدي (٢٩٨هـ)، لكنه فرع من الزيدية؛ بينهما اختلافات في الفروع.

والمذاهب الكبرى تكون عقائدية سياسية: كالشيعة والسنة؛ فهذه دوائر كبرى؛ تحت كل مذهب مذهب؛ فالشيعة مثلاً؛ يدخل فيهم الإمامية والزيدية والإسماعيلية؛ والسنة - من حيث العنوان العام - يدخل فيهم المذاهب الأربعة؛ والمذاهب العقائدية للسنة تشمل كل من ليس شيعياً؛ كالأشاعرة والمعتزلة والخوارج والنواصب.

وجوب تحرير من هم أهل السنة:

وبما (أن أهل السنة) في إطلاقه العام، يشمل كل من ليس شيعياً، كالخوارج والنواصب والجبرية فوجب التحرير والبيان. قال ابن تيمية في منهاج السنة (٢/ ٢٢١): (فلفظ أهل السنة يراد به من أثبت خلافة الخلفاء الثلاثة فيدخل في ذلك جميع الطوائف إلا الرافضة).

ومن المعلوم: أن الذي يثبت خلافة الثلاثة هم كل الطوائف إلا الشيعة؛ وعلى هذا يدخل في هذا العنوان العام الخوارج والنواصب والمجسمة والجبرية الخ؛ فلذلك؛ إذا قال بعضهم أنا سني، فهذا العنوان العام.

إذا؛ يمكن أن يكون مذهبه الفرعي خارجياً أو ناصبياً أو جهمياً أو أشعرياً أو معتزلياً... الخ..

كلام ابن تيمية هو ما جرى في الواقع؛ أي: أن مبدأ نشأة السنة، ليس على أساس (السنة النصي)؛ إنما كانت السنة هي الرأي السياسي العام. ولو كانت (السنة) نتيجة للنص، لما اشتملت على الطوائف المتعادية؛ التي لا يجمعها إلا (الإقرار بخلافة الثلاثة) كما قال ابن تيمية. فهو المعيار.

فالمعيار الحاسم (الإقرار بخلافة الثلاثة) هو معيار سياسي لا نصي. أما المعيار النصي؛ فهو أن يكون خلقك القرآن كرسول الله صلوات الله عليه وآله؛ وهذا المعيار السياسي (الإقرار بخلافة الثلاثة)؛ ولا ذكر (لرابع) في كلام ابن تيمية، هو ما جعله يحشر بني أمية في (أهل السنة)؛ مع أنهم نواصب.

فأول تجديد يجب أن يكون في المعيار؛ فالمعيار السياسي معيار باطل؛ لم يكلفنا الله به ولا رسوله. أما المعيار النصي؛ فهو اتباع القرآن؛ كفعل النبي. وكل محاولات ترقيعية لفك الاشتباك بين السلفية والأشاعرة وتنازعهم على (السنة) لا تجدي، لأن المعيار باطل من أصله، والسبب فيه سياسي لا ديني..

والمعيار النصي (إن أتبع إلا ما يوحى إلي) معيار رحمة؛ فيه تتحقق رحمة القرآن ورحمة النبي (وما أرسلناك إلا رحمة)؛ أما المعيار السياسي فمشقة.

معيار الرحمة لا يحرم أحداً من نصيبه من الإسلام والسنة، ويترك لله تقييم إيمانه؛ أما المعيار السياسي؛ فلا يرحم حتى أصحابه؛ ويبقى في شقاق بعيد.

كان ابن تيمية دقيقاً عندما قال (يراد به من أثبت خلافة الثلاثة)؛ و(قد يراد به أهل السنة المحضة)؛ أي: قليلاً ما يراد أهل السنة المحضة. ثم (أهل السنة المحضة) أصلها سياسي عند التحقيق، ولذلك؛ يضلل بعضهم بعضاً؛ حتى فرق السلفية؛ يضلل بعضهم بعضاً.. فالمشقة موجودة مع المعيار السياسي؛ والحل؛ كما قلنا؛ العودة للمعيار النصي (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم)؛ بلا نتقاء ولا مخاصمة ولا ترتيب بشري؛ خذوه بترتيب من أنزله؛ لا ترتيبكم؛ فمن جعل الخصومة في الصفات والتاريخ أهم من الصدق والعدل وكرامة الإنسان؛ فقد أمات ما أراد الله إحياءه وأحيا ما أحياءه البشر، وبهذا ليس سنياً؛ بل من قدّم الصلاة والصوم والحج على غاياتها (كالذكر والتقوى)؛ فقد أخلّ بترتيب الله للأوامر؛ فأحيا الوسائل وأمات الغايات، وهذه مفارقة للسنة.

الناس يفهموننا خطأ في موضوع الحديث!

معظم سيرة العلامة محمد المنصور موجودة على الأرض

في وثائق الإصلاح؛ في بيوت الفقراء؛ في نصرة المظلومين؛ في ذاكرة بناء الأوطان.. سيرته هناك.

لا تحزنوا لضياح بعض سيرة العلامة المنصور العملية؛ فأفضل السيرة ما جهلها الناس؛ وليس ما

عرفوها؛ من دمعة سجود؛ واکرام يتيم؛ وصبر على مرض الخ

عندما نحذر الناس من استيلاء الأحاديث الضعيفة والمنكرة يأتي من يقول: وكيف نصلي؟

وهل حذرناك من هذا؟

سبق أن قلنا؛ لا ننكر الحديث إذا سار في ضوء القرآن؛ أو أوضح وفصل مجمله؛ أو تلك السنة العملية المتوارثة. تحذيرنا في موضوع آخر؛ نحن صلينا قبل أن نقرأ الأحاديث؛ الصلاة توارثناها؛ ولا خلاف في كفيته وأعدادها؛ بل وهيئاتها من حيث الجملة.. ليس كلامنا في إنكار السنة والحديث؛ ثم؛ كتب الحديث لم تستوف ما ذكره القرآن عن الصلاة من حيث الغاية والوظيفة واللب وخصال المصلين الثمانية، فتركوا المهم وفصلوا في التفاصيل. الأحاديث توسعت في ما تسميه أركان الصلاة وواجباتها وسننها وشروطها ومبطلاتها.. وهذا جيد، لكنها أهملت الأهم، غايتها ووظيفتها وخصال أهلها. وقد قلنا سابقاً، لو أننا سألنا أي طالب علم؛ فضلاً عن العامة؛ ما هي غاية الصلاة؟ ما الهدف الشرعي منها؟ أو لماذا نصلي؟ لن تجد عند أحدهم جواباً؛ مع أن الجواب موجود في القرآن كغاية كبرى من الغايات العشرين، وهو الذكر (و أقم الصلاة لذكري)؛ وذكر الله هو تذكره؛ أي أن يكون في قلبك..

إين هذا؟

أعني؛ لماذا لا نجد في كتب الحديث ولا في مناهج التعليم (غاية الصلاة)؟ والغاية هي أرفع من الصلاة نفسها؛ لأن الغاية أعظم من الوسيلة؛ فانتظر!!

والذي صرفنا عن غايات القرآن (غاية الذكر أو غيرها) هو الهوس بالحديث؛ أكل عقولهم وأضاع قرآنهم؛ فتنة عظيمة. نحن نريد إعادتهم للتوازن فقط؛ لست ممن يسمون (القرآنيين)؛ وإن كنت أدافع عنهم وأرى أنهم أخف وطأة من (المحدثين)؛ ولكن؛ في الوقت نفسه لست من المهوسين بالحديث؛ وازن الأمر؛ اجعل للقرآن النصيب الأوفر؛ استخرج ثقافته في الموضوع الواحد؛ ثم اذهب للسنن العملية المتوارثة؛ ثم تستطيع الفصل في بعض التفاصيل بالحديث فقط. المقصود، أننا لا ننكر السنة؛ ولا الحديث - مع تحفظنا على المصطلحين - فالسنة سنة الله؛ والحديث هو القرآن؛ والصواب أن يقال : "البيان النبوي"؛ لكن؛ بغض النظر عن الاصطلاح؛ لا أرى أن أبحث الصلاة من كتب الحديث قبل أن أبحث الصلاة في القرآن الكريم؛ خاصة وأن ما في القرآن عنها يفوق أهمية..

ليت أن الخطباء يعون هذه المسألة؛ أعني؛ لا يخطبون إلا من القرآن؛ ففيه تجد الموضوع - إذا جمعته - كان هداية متكاملة لا يعكر عليها إلا الحديث. والغريب؛ أن الخطباء لا يأتون بالأحاديث التي تتفق مع القرآن؛ غالباً يركزون على الموضوعات والمنكرات منها؛ مما يخالف القرآن ويضاده!

فتنة عامة.

الخطباء ينفخهم الشيطان بالحديث؛ تجد خطباء في قرى سكانها عامة؛ ثم تسمع الخطيب يهدير؛ رواه الترمذي في السنن وصححه الألباني! عظمة عظيمة!

والخطيب لا يعرف الترمذي ولا سننه؛ ولا الألباني ومنهجه؛ ولا شيء!

فقط؛ فخر / كبر / عظمة / تعالي على العامة المساكين..

يا أخي؛ حدثهم بالقرآن.

ألا تتحدثون بحديث (المتشعب بما لم يعط كلابس ثوبي زور)؟ فلماذا توهمون العامة بأنكم عظماء علماء؟ !

تواضعوا. اجمعوا لهم الموضوع من القرآن وبس.

أنا لست ضد الحديث إذا صح؛ إنما ضد هذه الغطرسة الحديثية التي فتنت الخاصة والعامة؛ حتى أصبح كتاب الله لا يفيد عندهم معرفة ولا فائدة.

مخجل.

نحن لم نقل لكم اتركوا الحديث كله؛ قلنا ابدءوا بالقرآن واستوفوا المادة القرآنية في الموضوع الواحد أولاً؛ ثم إذا رأيت حديثاً يشبهها اذكروه.

الخلاصة؛

لسنا في شيء من خصومات القرآنيين وأهل الحديث؛ ولا السنة والشيعة؛ لنا قناعتنا الخاصة وآراؤنا الخاصة؛ وربما تقترب من هذا الفريق أو ذاك.

هناك أفراد لا تهمهم الخصومة، وإنما المعرفة. ثم هذه المعرفة قد تقترب من هذا الطرف أو ذاك. لا نراقب التيارات قبل المعلومة؛ المعلومة أولاً وأخيراً. والمعلومة التي تقتنع بها؛ ولو كانت خاطئة؛ هي أفضل لك من معلومة تقلد فيها؛ ولو كانت صائبة.

الصدق مع نفسك هو المهم؛ وسيقودك لترك المعلومات الخاطئة.

السنة النصية أن تفعل كما يفعل النبي؛ أي؛ تتبع ما أنزل الله؛ حتى في (ترتيب المسائل)؛ من حيث الاهتمام بـ (الغايات) قبل (الوسائل).
هذه هي السنة.

السنة ذات المعيار السياسي (ونتيجة الفعل السياسي) متعبة؛ وهي أشبه بالعزوات القبلية؛ بينما؛ السنة ذات الأثر النصي (القرآني والرسولي) مريحة؛ الاعتزاء القبلي يعتزي بالقبيلة الكبيرة؛ ثم البطن ثم الفخذ ثم البيت ثم العائلة وهكذا .. ويبقى قلقاً؛ وكذلك السنة ذات المعيار والأثر السياسي؛ وعلى العكس السنة الحق (اتباع ما أنزل الله كما كان النبي يفعل)؛ هذه تخلق في نفسك التواضع والنفور من الكبر والعنجهية والاعتزات التفصيلية.